القيم الانسانية في أدب الاطفال

عند زهير رسام(*)

م.د رفل حازم خليل

مديرية التربية نينوى

ملخص البحث:

يعد أدب الأطفال فرع من فروع الأدب ، ورافد مهم من روافده لكن الصفة الأهم التي تبرز من خلاله هي التركيز على القيم الإنسانية بوصفها الوازع الأكبر لتشكيل شخصية الطفل ، ورفده بكل ما يسهم في تعديل سلوكه ، والحد من أن يقع في الخطأ ، وبهذا يكون أدب الأطفال أدبًا موجهًا فغايته الأولى

والأخيرة إنارة عقل الطفل وشد انتباهه تجاه الحياة،؛ لذا تعد النصوص المكتوبة للأطفال أشبه برسالة ذهنية يقدمها الكاتب بأسلوب رائع ومبسط ، من خلال استخدامه للمفردات السهلة الواضحة ، والفكرة الموجهة التي تخدم الحياة بما هو نافع ، فمهمة الأديب هنا مهمة تربوية ونفسية ، إذ يقوم الكاتب بتسليط

الضوء على كل ما يحيط بالطفل ويسعى إلى إبراز مواطن الخير والشر في سبيل تحقيق غاية أسمى وهي

خلق انسان ناضج وسليم ، وهذا ما وجدناه في قصص الكاتب زهير رسام ، فقد استعان بكل شيء محيط بالطفل وبيئته وشكل عن طرقها قصصًا ممتعة تنبض قيمًا إنسانية وأخلاقية .

Human values in children's literature

By Zuhair Rassam

Dr. Rafel Hazem Khalil

Nineveh Directorate of Education

: Research Summary

Children's literature is a branch of literature, and an important tributary of its tributaries, but the most important feature that stands out through it

It is to focus on human values as the biggest factor in shaping the child's personality, and to provide him with everything that contributes

In adjusting his behavior, and limiting his falling into error, and with this, children's literature is directed literature, as its first goal

The last one is to illuminate the child's mind and draw his attention towards life. So written texts for children are more like a letter

A mentality that the writer presents in a wonderful and simplified style, through his use of easy and clear vocabulary, and the idea

The orientation that serves life with what is useful, the task of the writer here is an educational and psychological task, as the writer sheds

Light on everything that surrounds the child and seeks to highlight the areas of good and bad in order to achieve a higher goal, namely

The creation of a mature and healthy person, and this is what we found in the stories of the writer Zuhair Rassam, as he used everything

Surrounding the child and his environment and forming through them interesting stories that pulse human and moral values.

مهاد نظري:

أدب الطفل :

يبقى أدب الأطفال جزءًا من الأدب العالممي ، ينطبق عليه ما ينطبق على الآداب من تعريف ، على الرغم من أنه يتخصص بمخاطبة فئة عمرية معينة في المجتمع ؛ لذا يتوجب على من يمارسه اللجوء إلى المفردات والجمل التي يفهما الطفل ، ويختار الموضوعات المناسبة لعقليته ؛ لإيصال المعلومة والفائدة والمتعة التي يتوخاها .

فهو أحد الأدوات المهمة والأساسية في تنشئة الطفولة ، والتي تعد أهم الركائز والدعائم لمستقبل الوطن العربي ، والتي يقوم عليها بناء الشخصية التي يريد أن تكون قوية ومؤثرة ؛ لذا فإننا بحاجة إلى انتاج أدب عربي للأطفال ؛ ليبين لهم طريق المستقبل ، وليحثهم على المثابرة لبناء غد أسمى وأفضل[1].

فأدب الأطفال هو أحد الأنواع المتجددة في الآداب الإنسانية فهو ليس طفولة الأدب ، بل أحد الآداب المعاصرة والمتفرعة عن الآداب الأخرى [2].

فهو وسيلة يعرف بها الصغار الحياة بأبعادها المختلفة ويكشف به الطفل مواطن الخطأ والصواب في المجتمع ويقف به على حقيقة ما في الحياة من خير وشر [3]، وقد أكد ذلك محمد العروسي بقوله : (إن أدب الأطفال يمثل جملة المعارف الإنسانية التي تقدم بطريقة وأسلوب أمثل ، فالغاية منه إذكاء الخيال وتزويد الطفل بالمعلومات العلمية ، والتقاليد الاجتماعية والعواطف الدينية والوطنية ، كما أنه يسعى إلى توسيع معجم اللغة ، ويسعى إلى امدادهم بمادة التفكير المنظم ، ويصلهم بركب الثقافة والحضارة من حولهم بإطار مشرق وممتع) [4].

فأدب الأطفال يوفر قيمًا نفسية واجتماعية يراعي سمات الإبداع وينميها من خلال عملية التواصل ، فهو يمثل ثقافة جزئية مؤثرة على الطفل في المرحلة العمرية التي ينمو فيها معرفيًا ووجدانيًا ومهاريًا [5]

وبهذا يكون مجموع النشاطات الأدبية التي تقدم للأطفال ، وتراعي خصائصهم وحاجاتهم ، ومستويات نموهم ، فهو يتجسد ويقوم على المعاني والأفكار والمشاعر [6] ؛ لأنه يشارك الإحساس ويغذي الروح ويهذب المشاعر وينميها .

مفهوم القيم الإنسانية في أدب الأطفال :

تعد القصة من مصادر الإمتاع والإقناع لدى الصغير والكبير على حد سواء وإن اختلفت درجاتها من الخيال إلى الواقعية ، ومن التصريح إلى الرمز ، ومن السهولة إلى الصعوبة ، ومن البساطة إلى التعقيد إلى غير ذلك بما يناسب المرحلة العمرية ؛ وذلك للميل الفطري لدى الأنسان القائم على عنصر الإيحاء خاصة عند الأطفال ، فالطفل ينفر من الأسلوب المباشر ويميل نحو الإيحاء لما له من طاقة تأثيرية موحية تشد الانتباه وتوجهه [8] ، وتحقق من خلاله قيمة إنسانية ، فأدب الأطفال يحمل قيمة ورسالة تربوية مليئة بما يحقق أهدافه وطموحاته ، وما يصبو إليه ، فالغاية الأولى والأخيرة له هي التوجيه ، ولا يتم التوجيه إلا من خلال إبراز القيم الإنسانية في العمل الأدبي الموجه لديه .

فالقيم مجموعة الموجهات التي تضبط وتوجه تفكير الفرد وتجعله قادرًا على مواجهة موقف ما [9]، هي إلا تصورات ورؤى للمرغوب فيه، وتختص بشكل من أشكال السلوك أو غاية من الغايات التي تعلو وتسمو بالمواقف النوعية[10] ، بوصفها المعيار الذي يؤثر في سلوك الفرد ، إذ يتم من خلالها الحكم على الشخصية ومدى صدق انتمائها نحو المجتمع بكل أفكاره ومعتقداته وأهدافه ، وطموحاته ، وقد تكون القيمة إيجابية أو سلبية لكل ما هو مرغوب أو غير مرغوب . [11]

ولا يمكن تحديد القيمة إلا في إطار الإنسانية التي تسعى إلى تحقيقها ، وتعمل على إظهارها ؛ لأن الإنسان فيها هو المحور الأساس فيها ولا يكون الإنسان إنسانًا إلا إذا تخلى عن الشهوات وحلق عالياً وسما بنفسه نحو الكمال الروحي ، متجاوزًا حدود الزمان والمكان مطلقًا لخياله العنان متحررًا من قيود الحواس ، محققًا هدفه المنشود ، وهو إنساني كإنسان [12].

وبهذا تكون مجموعة من المعايير التي يضعها مجتمع ما في ضوء ما تراكم عليها من خبرات ، نتيجة عمليات انتقاء جماعية يتفق عليه أفراد المجتمع

فهي أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية ينشرها الفرد ويحكم بها مجالات حياته وتفكيره ، وتعمل على تحديد سلوكه وتؤثر في تعليمه ، فالقيمة إذًا هي أحد اليات الضبط الاجتماعي المستقلة عن ذوات الأفراد الخارجية عن تجسيداتهم الفردية [13]، أو أنها اعتقادات عامة تحدد الصواب من الخطأ والأشياء المفضلة المقبولة من غيرها [14] ، أو أنها نمط أو موقف أو جانب من السلوك الإنساني ومجتمع أو ثقافة أو بيئة طبيعية أو العلاقات المتبادلة التي يمارسها شخص أو أكثر كما لو كانت غاية في حد ذاتها [15] ، وبهذا تكون القيم في أدب الأطفال رسالة مضمرة غرضها التوضيح والإبانة عن مواضع الخير والشر ، فغايتها الأولى والأخيرة هي هو بناء غد أسمى وأفضل ، وتوجيه السلوك وتحفيز العقل بما يلائم الحياة والتصور .

أولاً: قيمة الصبر

ابتدأ الكاتب قصته بعنوان مؤثر متمثل بـ(النخلة) وربطها بـ (العاصفة) ؛ ليظهر القدرة على المواجهة ، فالنخلة رمز للشموخ والإباء والتحدي ؛ لأنها الشجرة التي تستطيع أن تنمو وتثمر في ظروف صعبة ، كما تعد رمزًا للخصب والنماء [16]، أما العاصفة فهي رمز للتغيير ، كما أنها تدل على الغضب والظلم والإرباك ، وقد استعان الكاتب بالرمزين السابقين ؛ ليبين قيمة التحدي ويغرسها في نفس قارئه الصغير ، فللطفل روح تسعى إلى المقارنة ليستطيع أن يميز بين الأشياء ، كما أن عنصر التشويق هو ما يشد الذهن وينبهه للوصول إلى المعرفة ، ليبدأ الكاتب القصة على النحو الآتي:

(في يوم ولادة ابنتي ياسمين ، زرعت في حديقتي نخلة سميتها باسمها نمت النخلة ياسمين مع الأيام طالت وارتفعت وأصبحت تتباهى بجذعها الشامخ، وتمرها اللذيذ تتمايل بدلال وسط الحديقة زاهية بعذوقها السبعة وفسائلها الفتية تغرد فوقها البلابل وينام بين سعفاتها الحمام)[17] .

إن ارتباط النخلة باسم ياسمين أعطى دلالة على الرقي والعذوبة والرقة فالنخل والابنة بوصفها مرأة أعطت بعدًا للجمال والخصب، والنماء، والعطاء دون مقابل فهما قيمتان للمواجهة بطبيعتهما الصبورة المقاومة ، والياسمين برائحته العطرة التي تملأ المكان حبًا ورقة وعذوبة ؛ لذا جعل الكاتب مكانها وسط الحديقة ليظهر مكانتها ويوضح قدرتها على الاتزان فهو يقول :

(تتمايل بدلال وسط الحديقة زاهية بعذوقها السبعة وفسائلها الفتية تغرد فوقها البلابل وينام بين سعفاتها الحمام) [18].

فالتمايل مرتبط بالياسمين لرقته والأعذاق والفسائل مرتبط بالنخيل ، فخلق من هذه النخلة صورة إبداعية متمثلة بصورة السلام والرحمة والرقة ، كما أنه أشار إلى لفظة الدلال ليظهر بأن ليس كل دلال مفسد، فالدلال القائم على المحبة والوئام والالتزام يخلق شخصًا رصينًا نبيلًا محبًا عطوفًا لا تهزه النوائب ، ثم يسترسل قائلًا :

(في يوم ما رأتها عاصفة من بعيد فغلى الحسد والغيرة في نفسها، وصرخت سأقتلعها من الجذور وابعثر عذوقها وفسائلها هذه النخلة الفخور بنفسها

اقتربت العاصفة مزمجرة ..فو .. فو ...فو

هزت العاصفة النخلة هزات قوية أمالت سعفاتها وجعلت بعضها يرتطم ببعض ، لكن النخلة الشابة الياسمين بقيت في مكانها راسخة جذعها ثابت وجذورها غائرة في الأرض)[19] .

لقد خلق الكاتب عنصر المفاجئة من خلال زمجرة العاصفة فو ..فو ..فو عن طريق استخدام الصوت (فو) والذي يشير إلى القول ؛ليؤكد بأن الضعيف ليس لديه إلا القول ولا يوجد مكان لفعله ، كما أنه يظهر قيمة التحدي والتصدي في نفس النخلة الذي كنى [20]عنها بأنها شابة ،فالشباب يرمز للقوة وللكبرياء ، كما أنه يشير إلى التحدي والتصدي فالاندفاع مغروس فيها وقد حددت لفظة الرؤية ذلك المعنى ، فعندما رأت العاصفة مقدار شموخ النخلة غلى الحسد والغيرة في نفسها ، ولقد كنى الكاتب عن الإنسان النبيل بالنخلة ، والإنسان الحسود بالعاصفة ، وجعل كل منهما انثى ليؤكد بأن الأنثى مهما بلغت من الرقة والجمال إلا أنها إن تربت تربية صالحة برزت ونفعت ، كما أن النص أثار في ذهن الطفل طاقة تأثيرية شدته ووجهته تجاه الحدث فالإنسان الصالح لا تكون حياته هانئة دائمًا ، بل قد تتعثر الحياة بفعل مؤثرات خارجية لا محالة فجعل من اقتراب العاصفة صورة حسية تمثل مقدار ما يصيب الإنسان من تعب ، كما جعل من النخلة معادل موضوعي للتحدي من خلال المقارنة بين فعل النخلة والعاصفة ؛ليبين بأن الإنسان الصالح لا يصدر عنه إلا ما يسر النظر والقلب ، والإنسان الغير صالح يسعى إلى إبراز أسوء ما فيه فهو مسيء للقلب والنظر ؛لذا جاءت أفعال النخلة عكس فعل العاصفة فجذعها ثابت وجذرها غائر .

ليستمر قائلًا :

(فنفضت النخلة الياسمين عنها غبار العاصفة بعد مرورها ثم ابتسمت ترمق بحنان عذوقها السبعة وهي تقول بلهجة هادئة إنها ليست أول عاصفة مرت بنا لقد تعلمت كيف اتخلص من العواصف) [21].

فالأفعال (نفضت / ابتسمت / اتخلص) شكلت البعد القيمي لمفهوم التحدي ، ليرتبط ذلك بلفظة بعد مرورها فشبه الجملة الظرفية أكد بأن المجابهة لا تكون في الوقت ذاته فالأنسان قد يفع في المحن والمهالك ، لكن عليه أن لا يتوانى وأن يسعى إلى تحقيق ذاته وطموحاته بعيدًا عما يمر به من أحداث.

لقد خلق الكاتب صورة تعبيرية من خلال القصة ليشير إلى قارئه الصغير بأن عليه أن لا يستسلم ، وأن يجابه المحن بصبر وتأن وعمل حثيث مقتديًا بفعل النخلة التي بقيت شامخة رغم ما مرت من صعاب ؛ لأن الحياة لا تحتاج إلى القوة دائمًا ، بل تحتاج الى التروي والتأني للوصول إلى عيش حياة هانئة مستقرة .

ثانياً: قيمة العطاء

يبقى العطاء قيمة مهمة في الحياة ، فهو الدليل على الحب والإنسانية ، فبدون العطاء لا معنى للحياة ولا للوجود ، وقد جسد الكاتب هذا المعنى من خلال قصة (العصفورة نادية والشتاء) ، إذ يبدأ قائلًا :

(انطلقت العصفورة نادية بنشاط وفرح صباحًا إلى الحقل جمعت الحبّ وأطعمت فراخها وما زاد عن حاجتها وضعته في محزنها الصغير تحسبًا للشتاء)[22].

فنادية شخصية معطاءة وقد أكدت الأفعال ذلك من خلال انطلق جمعت ، أطعمت = ما زاد عن حاجتها وضعته في مخزنها فهي نشيطة ومكافحة وراعية ومحبة ومدبرة ، وبهذا شكل الكاتب شخصيتها المعطاءة التي تعرف كيف تعيش ، ليظهر عن طريق تلك الصورة صورة أخرى متمثلة بابنتها من خلال القصة إذ يقول الكاتب :

(سألتها صغيرتها فرح وهل نساعد جيراننا العصافير الصغار يا ماما ؟ قالت نادية : بكل سرور يا فرح ، ثم ضحكت ونقرت خدها الجميل)[23] .

إن ظهور شخصية فرح الصغيرة يظهر قيمة للعطاء من خلال الأم فللأمومة دور عظيم في تحديد سلوك الفرد ، وتوجهه توجيهًا صحيحًا فهي الأم والموجهة والمربية ؛ لذا جاء ت صفات فرح حاملة لصفات الأم المعطاءة وقد تمثل ذلك بقولها : **(وهل نساعد جيراننا العصافير الصغار يا ماما ؟)** [24] .

فالسؤال الذي أثارته فرح شكل قيمة ما نزرعه في الأطفال الصغار وإن كان حبًا وعطاءً أصبح للحب والعطاء ، وإن كان للكره والحقد لا يكون إلا حقدًا وكرهًا ... وقد تمثل ذلك بقول الأم في القصة ، إذ يقول الكاتب على لسانها :

(سنطعم كل من يطرق باب عشنا يا ابنتي)[25] .

فلفظة كل لخصت قيمة العطاء فهو القيمة الانسانية العليا ، فقد عكس الوفاء والحب والعطف في شخصية الأم بدون حدود ، وقد أكد الكاتب ذلك بقوله على لسان فرح :

(أوه ، كم أنت عطوف وجميلة يا ماما) [26].

فاسم فعل الأمر ، والاستفهام رسم صورة عطاء الأم فهي تعطي بدون مقابل .

نادية = الأم = انطلقت ← جمعت ← أطعمت ← ادخرت

فرح = **طفولة** = النقاء = الحب والعطاء

ثالثاً: قيمة الثقافة

تعد القيمة الثقافية وازعًا مهمًا في تحقيق الذات الإنسانية ،وقدرتها على التطور والازدهار من خلال شحذ الهمم للوصول إلى المبتغى ولقد استطاع زهير رسام أن يوصل تلك الفكرة عبر قصته: كتابة فوق الرمال(فمن العنوان نجد بأن الكتابة على الرمال تعني أمران، الأول : هو معني بأمر الكتابة ، أي : الثقافة والتوجيه ، والثاني : قائم على الرمال ، فمن خلال الأمرين رسم الكاتب بأسلوب أدبي قيمة ثقافية ، إذ يبدأ القصة على النحو الآتي : **(فوق رمال ساحل البحر سجل الطفل هشام اسمه بعصا صغيرة ، ثم أطلق ضحكة وأخذ يركض فرحًا)** [27] .

فالفعل سجل ، وشبه الجملة المتمثل بـ (عصا صغيرة) تشكلت صورة القيمة الثقافية في شخصية هشام ، ليعود الكاتب قائلًا :

(وحينا عاد إلى الساحل في اليوم الثاني وجد اسمه وآثار أقدامه قد محيت وزالت ... حزن هشام بادئ الأمر وجلس يتطلع إلى البحر الواسع ولكن موجة اقتربت منه لامست قدميه ضحكت وقالت: لا تحزن هكذا نحن نمحو ما يسطره الأطفال على الرمل)[28] .

إن عملية العودة إلى الساحل ، والنظر من جديد إلى ما قد كتبه هشام قد آثار دهشة في نفس القارئ ، ولم الحزن ولكن ملامسة الموجة لقدمي هشام حرك الحدث ليظهر صورة قيمة للكتابة والتأثير من خلال قول الكاتب :

(اذهب واكتب اسمك في مكان لن تقدر الأمواج ولا الأيام أن تمحوه بقيت هذه الكلمات ترن في ذاكرته وتساءل أين اكتب اسمي ... في يوم زار مكتبة راح يتصفح عناوين الكتب واسماء الأدباء والعلماء على غلافها ولمعت كلمات تلك الموجة في رأسه ... ابتسم وهمس هنا فوق الكتب تبقى الأسماء خالدة لم يستطع أحدًا أن يمحوها)[29] .

فالأفعال : اذهب، اكتب ، لن تقدر ، أن تمحوه

ففعل الأمر الذي تحول إلى المضارع المبني من خلال (لن / أن) شكل القيمة الثقافية القائمة على الحركة ، وعدم التراخي للوصول إلى ما نريد ، فجعل الكاتب الهمة والسعي للوصول إلى المبتغى غاية للوصول إلى قيمة ثقافية عليا من خلال تساؤل هشام الصغير : (**أين أكتب اسمي فلا تقدر الأمواج ولا الأيام أن تمحوه في يوم زار مكتبة راح يتصفح عناوين الكتب واسماء الأدباء والعلماء على غلافها ولمعت كلمات تلك الموجة في رأسه ابتسم وهمس هنا فوق الكتب تبقى الأسماء خالدة لم يستطع أحد أن يمحوها**)[30].

فعن طريق التساؤل الذي لمع في ذهن هشام وربطه بالمكان المتمثل بالمكتبة والكتب استطاع الكاتب أن يوجه عقل قارئه الصغير إلى أهمية العلم والتعلم والمثابرة ، كما أن (الابتسامة / الهمس) شكلت محورًا ثقافيًا مهمًا للقارئ الصغير بأن يكون منبهًا إلى كيفية بناء مستقبله من خلال الاختيار الناجح والتأمل والصبر ، فليست الكتابة اي كتابة يستطيع محوها فالكتابات الخالدة التي تشكل ثقافة وقيمة في نفس الطفل الصغير من خلال تحفيزه إلى التفكير السليم والصادق فالاختيارات السليمة تخلق افقًا جميلًا يوصل للخير والنجاح .

رابعاً: قيمة الأخلاق

في قصة (الإوزات اللطيفة) نجد الكاتب يعرض لنا قيمة أخرى من قيم الإنسانية متمثلة بـ(الأخلاق)، فالأخلاق قيمة عليا يجب أن يتحلى بها الجميع بوصفها قيمة عليا في المجتمع ، فبدون الأخلاق لا يمكن للمجتمع أن يتقدم أو أن يزدهر ويتطور ، ولا يمكن أن يتواصل الآخرون مع غيرهم بدون أخلاق وبدون احترام حريتهم ، وطريقة تفكيرهم ,واسلوب عيشهم وقصة الاوزات اللطيفة صورة مصغرة توضح القيمة الأخلاقية في المجتمع وعلى الطفل الصغير والكبير اتباعها ، إذ يبدأ الكاتب قائلًا :

(كانت النجوم تغفو على سطح بحيرة هادئة في ليلة صافية)[31] .

فالصورة الأولى التي رسمها الكاتب أعطت بعدًا تأثيريًا لصورة مصغرة عن حياة أحدهم ، فالفعل الماضي (كانت) ،والاسم المتمثل بـ(النجوم)ارتبط بصورة وهمية بالفعل (**تغفو على سطح بحيرة هادئة في ليلة هادئة**)[32]، إذ رسم الكاتب حياة هانئة مرتاحة طيبة ، كما أعطت قيمة أخلاقية .

نجوم ← تغفو ← على سطح بحيرة هادئة ← في ليلة صافية

↓

حياة هادئة

↓

محبة ووئام = حياة هادئة

↓

انسجام تام مع القدر

↓

قيمة أخلاقية

ليواصل الكاتب قوله: **(لا تتحركن رجاء، لنخرج بهدوء ونجلس على رمل الشاطئ كي لا تفز النجوم من نومها اتركنها غافية حالمة فوق مياه البحيرة)**[33] .

ففعل القول المتمثل بـ

لا تتحركن	لنخرج	اجلس على رمل الشاطئ	اتركنها
↓	↓	↓	↓
نهي	أمر	أمر	أمر

إن (الجملة الطلبية هي الجمل التي يطلب فيها حصول شيء وقد حصرها علماء المعاني في خمسة انواع: الامر والنهي والاستفهام والنداء والتمني)[34] . فالأساليب الطلبية المتمثلة بـ (النهي / الأمر) شكلت بعدًا أخلاقيًا يتوضح من خلال الكاتب الذي يثير ذهن الطفل بعدم التدخل فيما لا يعنيه حتى لا يرى ما لا يرضيه فعملية تحرك مياه البحيرة إذا تحركت الاوزات شكلت صورة محزنة تعكر صفو النجمات الحالمات البعيدات عن الأذى ، فعدم تشويه صورتهن في المياه هي قمة الأخلاق وقد أبدع الكاتب في رسم تلك الصورة ،وقد ارتبط ذلك بقوله :**(ابتسم القمر وقال : ما ألطفهن من إوزات)**[34] .

فاللطف والتعامل الحسن ، والتفكير بالأخرين ، والخوف على راحتهم وسلامة سريرتهم هو ما حدد القيمة الأخلاقية في القصة ، وهذا هو المعنى المضمر لأدب الأطفال بوصفه أدب تعليمي توجيهي ، فالكاتب جعل من القمر الذي يعكس الضوء في السماء الصافية دلالة أخلاقية ، فأي فعل يفعله

الإنسان سواء أكان جيدًا أم غير جيد ولو كان في عمق الليل سيذكر لا محالة ، كما أنه رسم صورة لمجتمع خلوق لا يتدخل فيما لا يعنيه.

إن الغاية الأولى والأخيرة من أدب الطفل هو التركيز على الأخلاق ، لأن منها يستمد الإنسان حضوره وقدرته مع التواصل مع الآخرين .

خامساً: قيمة الجمال

للجمال قيمة ، لكن يجب أن يرى بعين البصيرة لا بعين البصر ؛ لأن البصر قد ينخدع بالمظهر ولا يرى الجوهر المكنون الخفي الذي قد يمثل الحياة بأسرها ، وهذا ما مثلته قصة (بين زهرة ونجمة) ،إذ تبدأ القصة على النحو الآتي :

(رفعت زهرة رأسها للنجوم في عمق الليل وهتفت لنجمة : ليتني كنت مثلك نجمة أرسل نوري إلى المدن والحقول ، وأنير درب الآخرين وأكون دليلًا للسفن في عرض البحار)[35] .

فالفعل رفعت ⟵ في عمق الليل ⟵ وصفت جمال النجوم في الليل فقط ، وقد عكس جمال النجوم ذلك الجمال بأرسل نوري ⟵ أنير درب الآخرين ⟵ أكون دليًل = دلال وجمال

فعملية الارسال تستخدم من مصدر آخر قوي هو الشمس ، كما أن الفعل (أنير– أكون) أوضح صورة الجمال المستمد من الشمس فالفعل الناقص لا يكون تاما إلا بوجود الشمس ، فجمال النجمة لا يكتمل إلا في عمق الليل ؛ لأنه يظهر روعتها وحساسيتها ؛ لذا عكس ذلك قول الكاتب :

(ابتسمت النجمة خجلة وقالت : يا حبيبتي ... ليتني مثلك زهرة انبت في الأرض، وأرتوي من مائها، وأفرش جمالي وعطري للأطفال ، ثم رمشت للزهرة ببريق لامع وأرسلت لها قبلة) [36].

فالابتسامة الخجولة عكست الحياة التي تملكها الزهرة ، ولا تمتلكها النجمة فهي

تنبت في الأرض ⟵ ترتوي من الماء ⟵ تفترش الجمال للأطفال = جمال وحياة

فجمال الزهرة يعطي جمالًا للآخرين ؛ لأنه تمثل الحياة ، ولكن لكل منهما جماله الخاص الذي ينبثق منه

سادسا: قيمة الحرية

للحرية صورة إنسانية لا يعرف معناها إلا من وقع أسيرًا لشيء ، فالأسر قد يكون داخل النفس أو السجن ، فلا معنى للحياة إلا بوجود الحرية ، وقد حاول الكاتب أن يظهر هذا المعنى من خلال قصة (لمعان وبلبلها الفتان) ، إذ يبدأ القصة على النحو الآتي :

(في كل صباح كان البلبل يوقظ صديقته لمعان ويسمعها أجمل الألحان وتنهض لمعان الحلوة فرحة مسرورة وتذهب إلى المدرسة تليح بيدها لصديقها البلبل)[37] .

فجملة (كل صباح) تؤكد بأن الحياة تتجدد بصورة حرة ليرتبط ذلك بالاستيقاظ ، والسماع ، والنهوض، وهذا ما يؤكد على تجدد الحياة وبدورها تتمثل بالحرية .

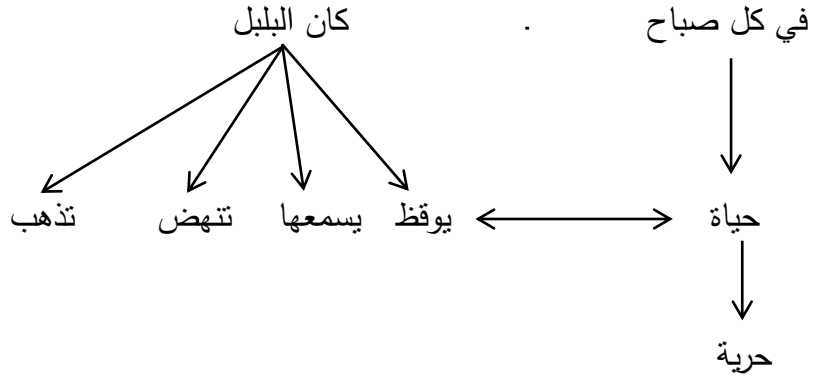

ليظهر الكاتب صورة معاكسة لتلك الحياة من خلال ما يسرده الكاتب :

(وذات صباح نهضت ولم تسمع صوت بلبلها ، ثم وقفت وراء الشباك إلى الحديقة وهي تحدث نفسها ماذا جرى ؟ أين ذهب ؟ لماذا لم يسمعني صوته كعادته)[38] .

فلفظة (ذات صباح) عكست لفظة (كل) الدالة على الجمع فذات أظهرت صورة فردية لا جماعية وبدورها عكست صورة واضحة للمعان

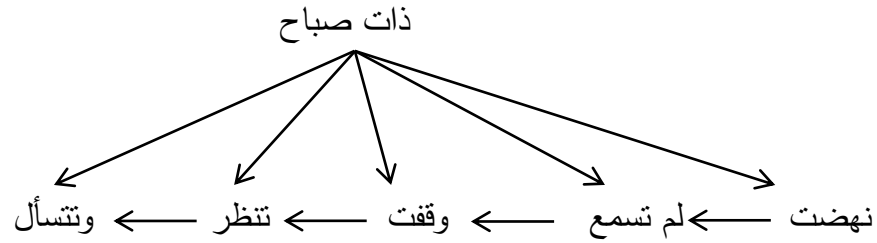

فالتساؤل عبرَ عن تغير حال السعادة والحرية إلى حالة الخوف والضعف ليشير إلى قارئه الصغير بأن الحياة لا تستمر إلا بوجود من نحب فوجودهم يمثل حرية ؛ لذا أشار إلى تلك الصورة بقوله :

(حزنت لمعان الجميلة على بلبلها ، ثم وقفت وسط حديقتها ، ثم صاحت بأعلى صوتها : أين أنت يا بلبلي ؟ وهتفت أشجار النارنج والبرتقال : أين ذهب بلبل عزيزتنا لمعان ؟ رقت عصافير الحديقة الحمامات لحال لمعان ، فاقترب منها عصفور وقال يالمعان الحلوة لا تحزني ، إن بلبلك حبس في قفص جارتكم الطفلة دعد آه أحقا في قفص صديقتي دعد ؟!يبدو أن دعدًا لا تعرف أن بلبلي لا يغرد إذا حبس في قفص خابرت لمعان صديقتها دعد بالهاتف وحالما فتحت دعد القفص طار البلبل ، وعبر السياج ووقف على كف صديقته لمعان التي كانت تنتظره في الحديقة وراح البلبل من الفرح ينقر خدها ويغرد مسرورًا سريعًا سعيدًا بحريته ، وبلقائه بحبيبته لمعان)[39] .

فالحزن والوقوف والصياح دلت على حالة من الحزن والضياع الذي أصاب لمعان ، فلمعان أصبحت حبيسة بدون بلبلها الذي يعني لها الوجود والحرية ، والبلبل حبيس القفص ، وهي حبيسة الوجود ، وقد أكد ذلك الكاتب في

قوله : **(آه أحقًا في قفص صديقتي دعد ، يبدو أن دعدًا لا تعرف أن بلبلي لا يغرد إذا حبس)**[40].

فاسم فعل الأمر والتوكيد بلفظة حقًا ، وضح شخصية دعد التي وصفها الكاتب بأنها طفلة فالطفولة لا تعني التعمد ، إنما تعني قلة الإدراك لعواقب الأمور في الأشياء ، فدعد عمدت إلى سجن البلبل ؛ لأنها أرادت أن تطعمه وتسقيه وتسمع شجي ألحانه ، ولكنها لم تدرك قيمة الحرية لديه فهو لا يريد أن يغرد في سجن ؛ لأن سجنه يعني عدم حريته ، وعدم حريته يعني حرمانه من ممارسة حياته بهدوء وسعادة ؛ لذا أكد الكاتب ذلك بقوله :

(وحالما فتحت دعد القفص طار البلبل)[41] .

في المخطط يظهر تناوب الافعال التي تدل على الحرية:

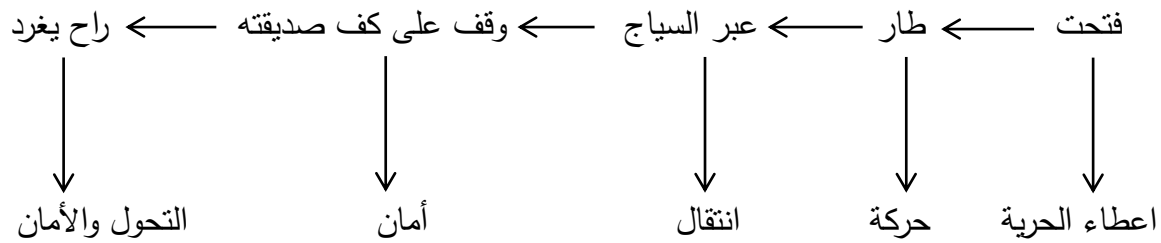

فهو لم يتحرك ولم يغرد إلا عندم وجد حريته ، فالحرية بكل بساطة تعني الأمان فلا أمان إلا بوجود الحرية ، ولا حرية إلا بوجود الأمان .

إن تعددت القيم في أدب زهير رسام يكشف لنا مقدرة عالية على التوجيه من خلال القصص المقدمة للطفل ، فالكاتب سعى إلى إبراز القيم الإنسانية بأسلوب ممتع ومشوق ؛ ليشد الأذهان، وليثري المعجم اللغوي لدى قارئه الصغير .

الخاتمة :

– إن التركيز على القيم الإنسانية في أدب الطفل ينم عن ذكاء يتمتع به الأديب ؛ ليصل إلى غاية سامية مهمتها اذكاء عقل الطفل وإدراكه تجاه النص المقدم إليه .

– اعتمد زهير رسام على توضيح معاني الإنسانية من خلال القصص الموجهة للطفل بأسلوب ممتع وهادف .

–غاية أدب الأطفال توجيهية وتعليمية ، فهو أدب انتقائي ؛ لاعتماده على التوجيه نحو القيم والمثل العليا التي تعدل السلوك وتذكي الفكر وتحرك الوجدان .

– شخصيات زهير رسام شخصيات بسيطة تتمتع بالذكاء ، وقد حاول من خلالها أن يبث رؤاه وقيمه الإنسانية من أجل بناء غد أفضل .

– تنوعت القيم الإنسانية في قصص زهير رسام فجاءت مؤكدة على ما ينمي الاحساس بالمسؤولية تجاه الآخر فتولد عن طريق تلك القيم صورة للإنسانية بكل تجلياتها المعرفية والفكرية .

الهوامش

(*) أديب عراقي عرف بحبه لكتابة قصة الطفل، ولد الراحل في مدينة الموصل عام ١٩٣٩م نشأ فيها ، أنهى دراسته الابتدائية والثانوية فيها ، انتقل إلى بغداد لإكمال دراسته الجامعية تخرج من كلية التربية فرع آداب اللغة العربية عام ١٩٦١م ، في بداية السبعينيات بدأ عمله الأدبي فنشر قصصه الأولى في مجلتي (مجلتي والمزمار) ، كما نشر في مجلة الحدباء والنبراس الموصليتين ، كما نشر في مجلات عربية منها مجلة العربي الصغير الكويتية ، ومجلة وسام والحاتم الأردنيتين . له عدد من المؤلفات نشرتها له وزارة الثقافة والإعلام العراقية –دار ثقافة الأطفال. نال عدد من الجوائز منها الجائزة الثانية في القطر في مسابقة القصة عام ١٩٩٤م ، كما نال جائزة الابداع ، وهي أعلى جائزة في القطر عام ١٩٩٨م عن مجموعته القصصية (الأرنب الحالم) ، وجائزة بدع للولي.

١. ينظر : أدب الأطفال ، فلسفته فنونه أغراضه ، هادي نعمان الهيتي : ٢٢٨.

٢. ينظر : أدب الطفولة وأصوله .. مفاهيمه .. رواده ، أحمد زلط : ٥ .

٣. ينظر : مقدمة حول أدب الطفل ، محمد العروسي ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، عدد ٩٣، ٢٠٠٦م : ٣٣.

٤. المصدر نفسه : ٣٣.

٥. ينظر : أدب الأطفال بين مراحل الطفولة وجماليات الكتابة، عياضي أحمد ، مجلة مهد اللغات ، المجلد ٢، عدد ٣، ٢٠٢٠م جامعة ميرة عبد الرحمن بجامعة الجزائر: ٣٣–٤٠.

٦. ينظر : ثقافة الأطفال ، هادي نعمان الهيتي : ٩٢.

٧. ينظر : حكايات زهير رسام للأطفال ، رائدة عباس ، مجلة دراسات موصلية ، عدد ٢٥ ، رجب ١٤٣٠–٢٠٠٩م، وينظر : أوراق ثقافية ، مجلة أدبية ثقافية تعنى بالشأن الثقافي ، ١٥ مارس ٢٠١٢م.

٨. ينظر : عوامل التشويق في القصة القصيرة لطفل المدرسة الإبتدائية ، إبراهيم عطا الله : ٨.

٩. ينظر : القيم المصاحبة للتفكير العلمي لدى طلاب كليات المعلمين وعلاقتها ببعض المتغيرات ، مساعد النوح ، مجلة دراسات تربوية ، كلية التربية ، جامعة حلوان ، ٣٩/٢، ٢٠٠٧م .

١٠. ينظر : سيكولوجية التعلم والتعليم ، سامي محمد ملحم : ٣٧.

١١. ينظر : أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، سمير عبد الوهاب : ١٢٢.

١٢. ينظر : النزعة في شعر الرابطة القلمية ، فصل سالم العيسى: ٧٩.

١٣. ينظر : القيم ومسؤوليات المواطنة ، عبد الودود مكروم : ٢٥.

١٤. ينظر : أدب الأطفال والقيم التربوية ، أحمد علي كنعان : ٢٤٧.

١٥. ينظر : أدب الأطفال والقيم التربوية ، أحمد علي كنعان: ٢٤٧.

١٦. ينظر : جولة في أقاليم اللغة والأسطورة ، علي ، دار المدي ، سوريا : ٥٣، ١٩٩٩م.

١٧. النخلة والعاصفة عن مجموعة الحديقة الأجمل ، زهير رسام:١٢

١٨. المصدر نفسه :١٣.

١٩. المصدر نفسه : ١٣.

٢٠. الكناية هي الستر والاخفاء ،دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ت: محمود محمد شاكر : ٥٦، ٣٧ .

٢١. النخلة والعاصفة ، زهير رسام: ١٣.

٢٢. العصفورة نادية والشتاء عن مجموعة الحديقة الأجمل ، زهير رسام ، ١٩.

٢٣. المصدر نفسه :١٩

٢٤. المصدر نفسه :٢٠.

٢٥. المصدر نفسه :٢٠.

٢٦. المصدر نفسه :٢٠.

٢٧. كتابة على الرمال عن مجموعة الحديقة الأجمل ، زهير رسام :٨.

٢٨. المصدر نفسه :٨.

٢٩. المصدر نفسه :٩.

٣٠. كتابة فوق الرمال :٩.

٣١. الاوزات اللطيفة عن مجموعة الحديقة الأجمل ، زهير رسام: ١٠.

٣٢. المصدر نفسه :١٠.

٣٣. المصدر نفسه :١٠.

٣٤. الجملة الطلبية في ديوان يا طائر الايك للشاعرة اماني بسيسو، دراسة نحوية تركيبية، مطيعة بن محمد شويط الحربي، مجلة العلوم الانسانية والطبيعية، المجلد الرابع، العدد (٤)، ١/٤/٢٠٢٣.

٣٥. بين زهرة ونجمة عن مجموعة الحديقة الأجمل ، زهير رسام :٢١.

٣٦. المصدر نفسه : ٢٢.

٣٧. لمعان وبلبلها الفتان عن مجموعة الحديقة الأجمل ، زهير رسام :٣٩.

٣٨. المصدر نفسه :٣٩.

٣٩. لمعان وبلبها الفتان : ٤٠.

٤٠. المصدر نفسه :٤٠.

٤١. المصدر نفسه :٤٠.

قائمة المصادر والمراجع :

الكتب :

- أدب الأطفال فلسفته ، فنونه ، وسائطه ، هادي نعمان الهيتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ١٩٩٧م.
- أدب الأطفال بين مرحلة الطفولة وجماليات الكتابة ، عياضي أحمد ، مجلة مهد اللغات ، مج٢، ع : ٣، ٢٠٢٠م.
- أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية ، سمير عبد الوهاب ، دار المسيرة للطباعة والنشر ، ط١ ، ٢٠٠٦م.
- أدب الأطفال وأساليب تعليمهم وتثقيفهم ، عبد الفتاح أبو معال ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط١، ٢٠٠٥.
- أدب الأطفال والقيم التربوية ، أحمد علي كنعان ، دار الفكر المعاصر ، ط١ ، ١٩٩٥.
- أدب الطفولة ، أصوله ...مفاهيمه ... رواده ، أحمد زلط ،الشركة العربية للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٩٩٤م.
- الإوزات اللطيفة ، من مجموعة الحديقة الأجمل ، زهير رسام من مجموعة الحديقة الأجمل، اتحاد الكتاب العرب ، سوريا ، ٢٠٠١م.
- بين زهرة ونجمة ، من مجموعة الحديقة الأجمل ، زهير رسام من مجموعة الحديقة الأجمل، اتحاد الكتاب العرب ، سوريا ، ٢٠٠١م.
- ثقافة الأطفال ، هادي نعمان الهيتي ، عالم المعرفة ، ١٩٧٠م .
- جولة في أقاليم اللغة والأسطورة ، علي الشوك ، دار المدى ، سوريا ، ١٩٩٩م.

- حكايات زهير رسام للأطفال ، رائدة عباس ، مجلة دراسات موصلية ، ع: ٢٥،رجب ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر ، مكتبة المدني القاهرة ،دار المدني بجدة ، ط٣ ،١٩٩٢م.
- سيكولوجية التعلم والتعليم الأسس النظرية والتطبيقية ، سامي محمد ملحم ،عمان ، الأردن ، دار المسيرة ، ط١ ،٢٠٠١ م.
- عوامل التشويق في القصة القصيرة لطفل المدرسة الإبتدائية ، إبراهيم محمد عطا الله، كلية التربية – جامعة القاهرة ، ط١، ١٩٩٤.
- قصة العصفورة نادية والشتاء ، من مجموعة الحديقة الأجمل، اتحاد الكتاب العرب ، سوريا ، ٢٠٠١م.
- قصة النخلة والعاصفة ، من مجموعة الحديقة الأجمل من مجموعة الحديقة الأجمل، اتحاد الكتاب العرب ، سوريا ، ٢٠٠١م.
- قصة كتابة على الرمل ، من مجموعة الحديقة الأجمل ، زهير رسام من مجموعة الحديقة الأجمل، اتحاد الكتاب العرب ، سوريا ، ٢٠٠١م
- قصة لمعان وبلبلها الفتان ، من مجموعة الحديقة الأجمل ، زهير رسام من مجموعة الحديقة الأجمل، اتحاد الكتاب العرب ، سوريا ، ٢٠٠١م.
- القيم المصاحبة للتفكير العلمي لدى طلاب كليات المعلمين وعلاقتها ببعض المتغيرات ، مساعد النوح ، مجلة دراسات تربوية ، كلية التربية ، جامعة حلوان ، ٣٩/٢، ٢٠٠٧م .

- القيم ومسؤوليات المواطنة : رؤية تربوية ، عبد الودود مكروم، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ٢٠٠٨.

المجلات :

- الجملة الطلبية في ديوان يا طائر الايك للشاعرة اماني بسيسو، دراسة نحوية تركيبية، مطيعة بن محمد شويط الحربي، مجلة العلوم الانسانية والطبيعية، المجلد الرابع، العدد (٤)، ٢٠٢٣/٤/١.
- مقدمة حول أدب اطفل ، محمد العروسي ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد ٩٣، ٢٠٠٦.
- النزعة في شعر الرابطة القلمية ، فصل سالم العيسى ، ط ع ، دار اليازوري ، عمان ،الأردن ٢٠٠٦.